

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

**The Ethics Structure in the early Islamic Heritage:
A comparative study between Imam, Al-Mawardi, Al-Isfahani and
Al-Ghazali**

يسرية إبراهيم طه علي¹

أ.د. عبد العزيز برغوث²

الملخص

تتناول الورقة بتحليل مفهوم الأخلاق في التراث الإسلامي المبكر، وتركز على البنية الأخلاقية عند ثلاثة من علماء المسلمين الذين كان لهم دور بارز في تناول المسألة الأخلاقية، الإمام الأصفهاني والغزالي والماوردي وأصول الأخلاق عندهم، وتحاول إشكالية الدراسة الإجابة على مجموعة من الأسئلة منها: ما طبيعة مفهوم الأخلاق عند هؤلاء العلماء وماهي الأسس التي يقوم عليها المفهوم عند كل واحد منهم؟ وماذا أضاف هؤلاء العلماء في مفهوم الأخلاق.

¹ باحثة ي مجال الدكتوراه، المعهد العالمي للفكر الإسلامي والحضارة، الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا

yosibrahim1990@gmail.com

² كلية عبد الحميد ابو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

berghout@iium.edu.my

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

ومما لا شك فيه أن هؤلاء العلماء المبرزين في علوم الأخلاق حاولوا من خلال الرؤية القرآنية أن يقدموا تصورات متميزة لأهمية المسألة الأخلاقية وأبعادها الاجتماعية. واستخدمت الورقة المنهج التحليلي الاستقرائي؛ وذلك بقراءة وتتبع وتحليل مفهوم الأخلاق وأسسها في محاولة للوصول للأبعاد المتداخلة لمفهوم الأخلاق عند هؤلاء العلماء سواء كان اتجاه وصفي أو تربوي أو فقهي أو عملي. وتقتصر حدود الدراسة: على دراسة البنية الأخلاقية عند ثلاثة من العلماء الماوردي والأصفهاني والغزالي. وتهدف إلى: توضيح المعالم العامة لمفهوم الأخلاق عند هؤلاء العلماء والأسس التي يقوم عليها، ومدى عمق الأفكار التي قدموها. وخلصت الورقة إلى أن المسألة الأخلاقية كانت حاضرة بقوة في التراث الإسلامي المبكر وبشكل خاص في نماذج وجهود العلماء الثلاثة، وأنهم فتحوا آفاقاً لتأسيس وتأطير المسألة الأخلاقية وتوجيهها التوجيه الإسلامي، وأنها ينبغي أن تدور مع الشرع مما يؤكد أصالة البنية الأخلاقية، وتمثل أصول الأخلاق في الحكمة والعفة والشجاعة والعدل.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق - البنية الأخلاقية - الأسس - التراث الإسلامي المبكر.



البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

Abstract

The paper analyses the concept of ethics in the early Islamic heritage with focus on three prominent Muslims scholars, namely: Imam Al-Isfahani, Al-Ghazali, Al-Mawardi who played a significance role in developing the concept. The study purpose is to answer the following questions: What is the core and concept of ethics in the mentioned scholars' views; what the basis of the concept is according to each of them and what are their contributions to the concept of Islamic ethics. These prominent scholars in the field of Islamic ethics applied the Qur'anic view to present illustrious concept highlighting the importance of ethics in social spheres. Hence, the paper depends on inductive analytical methodology to illustrate and analyze the concept of ethics and its basis to understand the interrelated dimensions for those scholars' views whether they are descriptive, educational, juristic, or practical. Therefore, the study is limited to the three mentioned scholars. The study objectives are to explain the concept of ethics and its inherent basis according to these scholars. Accordingly, the paper concludes that the concept of ethics is strongly present in the early Islamic heritage particularly in the works of the three scholars' examples and contributions. Further, it worth mentioning that they are pioneers who put forward the framework of defining the ethics according to Islamic norms that were governed by Islamic teachings where its authenticity is ascertained strongly on wisdom, bravery, justice, and integrity.

Keywords: *Ethics, Ethics structure basis, The early Islamic heritage.*

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام الماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousry Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

المقدمة

وجدت الأخلاق اهتماماً كبيراً من الفلاسفة والعلماء لما لها من أهمية كبيرة جداً، باعتبارها من المبادئ الأساسية التي يقوم بها عليها المجتمع، ويكفي أن جعل النبي صلى الله عليه وسلم الأخلاق من أهداف بعثته بقوله: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ".³ وفي رواية "مكارم الأخلاق، وقد فاضت كتب التراث الإسلامي بإحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تحت على مكارم الأخلاق (لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ)، (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا).

والأخلاق تعبر عن فلسفة كل أمه، كما أنها إنسانية لا يختلف حولها ولكن تناول المواضيع الأخلاقية يكون بناءً على الرؤية للحياة، لذلك جاءت الأخلاق الإسلامية تعبيراً عن الإسلام. والتاريخ والحضارة الإسلامية حافله بأسماء مازال اثرها حاضراً حتى الآن في التاريخ الحديث ومن أبرز هؤلاء العلماء الإمام الماوردي والراغب الأصفهاني والإمام الغزالي الذين كان لهم السبق في تشكيل البنية الأخلاقية وفق الشرع الإسلامي. فالنظام الأخلاقي في الإسلام نظام

³ محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (دار الصديق للنشر والتوزيع ط4، 1997م)، باب حسن الخلق، رقم121، حديث رقم 207، ص 118.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام الماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

كامل يشمل الأخلاق النظرية والعملية التي تقوم على أربعة أركان رئيسية هي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل.

الإمام الغزالي (505هـ)	الإمام الأصفهاني (505هـ)	الإمام الماوردي (450هـ)
• إحياء علوم الدين	• الذريعة إلى مكارم الشريعة	• أدب الدنيا والدين

أولاً: مفهوم وأسس الأخلاق عند الإمام الماوردي (450هـ)

هو أبو الحسن علي بن محمد الحبيب علي بن حبيب، أبو الحسن البصري المعروف بالماوردي،⁴ ولد في البصرة عام 364 هجرية، لأب يعمل ببيع ماء الورد فنسب إليه فقيل "الماوردي" نشأ في البصرة وتلقى العلم فيها، وهو إمام في الفقه والأصول والتفسير، معتدل في تأليفه، تولى القضاء في بلدان كثيرة ثم غدا أفضى القضاة، شافعي المذهب، ومن كتبه: أدب

⁴ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (لبنان: دار الكتب العلمية بيروت، الجزء 12)، ص

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

الدنيا والدين الأحكام السلطانية، وكتابه أدب الدنيا والدين من أمتع ما كتب علماء الأخلاق والتربية.⁵

مفهوم الأخلاق عند الإمام الماوردي

الأخلاق غرائز كامنة تظهر بالاختيار وتقهر بالاضطرار، وللنفس أخلاق تحدث عنها بالطبع ولها أفعال تصدر عنها بالإرادة فهما ضربان لا تنفك النفس منهما، أخلاق الذات وأفعال الإرادة⁶ فأما أخلاق الذات فهي من نتائج الفطرة وسميت أخلاقاً لأنها تصير كالحلقة.

البنية الأخلاقية للإمام الماوردي

يرى الإمام الماوردي أن الاستقامة سبيل لصالح الفرد حيث بدأ كتابه ادب الدنيا والدين بقوله: "أعظم الأمور خطراً وقدرماً وأعمها نفعاً ورفداً ما استقام به الدين والدنيا وانتظم به صلاح الآخرة والأولى؛ لأن باستقامة الدين تصح العبادة وبصلاح الدنيا تتم السعادة"⁷

⁵ محمد علي كرد، كنوز الأجداد (سوريا، المجمع العلمي العربي بدمشق، 1650) ص 242-244.

⁶ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، (لبنان: دار النهضة العربية، الجزء الأول)، ص 5.

⁷ أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، (دار مكتبة الحياة: 1986م، الجزء الأول) ص 13.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

وإن كوامن الأخلاق بادية في الصور والأشكال.⁸ وبعبارة أخرى ذكر اعلم أن الخير والشر معانٍ كامنة تعرف بسمات دالة.⁹ ففي العصر الحديث الأخلاق اليوم هي نظرية الخير والشر أو الصبح والخطأ.

أ- مقياس أو ضابط الأخلاق عنده: الشرع والعقل، الشرع يظهر ذلك من خلال كثرة استدلاله باحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه ادب الدنيا والدين خاصة فيما يتعلق بأداب النفس وقد عبر عن ذلك إن الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها وأجدي الأمور نفعاً في انتظامها وسلامتها، أما عن أهمية العقل فقد ذكر " اعلم أن لكل فضيلة أساً ولكل أدب ينبوعاً، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى أصلاً وللدنيا عماداً"¹⁰

قواعد الإصلاح عنده تبدأ بالدين وهذا يدل على أن الشرع مصدر أساسي للأخلاق عند الإمام الماوردي.

⁸ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الماوردي، أدب الدنيا والدين، (دار مكتبة الحياة: 1986م، الجزء الأول) ص 158.

⁹ أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص 246.

¹⁰ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الماوردي، أدب الدنيا والدين، (دار مكتبة الحياة: 1986م، الجزء الأول) ص 17. بالنسبة للماوردي فإنه أن كان متأثر بالفكر اليوناني إلا أن الصبغة الدينية الإسلامية كانت واضحة في فكره الأخلاقي والدليل هو استشهاده دائماً بالقران الكريم والسنة النبوية الشريفة في حديثه عن المبادئ الأخلاقية. انظر عبدالقادر البحراري، الفكر الأخلاقي عند الماوردي،

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousry Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

ب- أصول الأخلاق عند الإمام الماوردي

أن ما تصلح به الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتزمة، ستة أشياء هي قواعدها،
وإن تفرعت:

- 1- دين متبع
- 2- سلطان قاهر
- 3- عدل شامل
- 4- أمن عام
- 5- خصب دار
- 6- أمل فسيح¹¹

وأما ما يصلح به حال الإنسان ثلاثة أشياء:

- أ- نفس مطيعة إلى شدها منتهية عن غيرها
- ب- الفة جامعة تعطف اللوب عليها ويندفع المكروه بها

¹¹ أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أدب الدين والدنيا (دار المنهاج، ط1، 2013م) (فصل ما تصلح به الدنيا ص 217) (ص 231) ثم تحدث عن فوائد هذه القواعد فالدين المتبع أنه يصرف النفوس عن شهواتها ورقبياً لها، وأما العدل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، والأمن تطمئن إليه النفوس كما أنه من نتائج العدل، وخصب دار تتسع النفوس به، فيقل فيه الحسد ويتنفي عنهم تباغض العدم، وتتسع النفوس في التوسع وتكثر المواساة والتواصل، وذلك من أقوى الدواعي لصلاح الدنيا وانتظام احوالها. وأما أمل فسيح به تعمّر الدنيا فيعم صلاحها، صارت تنتقل بعمراتها إلى قرن بعد قرن.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

ت- مادة كافية تسكن الإنسان إليها ويستقيم أوده بها.¹²

ج-أنواع الأخلاق: غريزية طبع عليها، ومكتسبة تطبع لها.¹³ والإمام الماوردي من خلال اهتمامه بالحياة الاجتماعية وضرورة البحث فيها وتشخيص أركانها الأساسية، يرى أن قوة العلاقة بين الفرد والمجتمع تعتمد على قدرة الفرد على تشبع قيم المجتمع الذي ينتمي إليه إذ يقول: "واعلم أن صلاح الدنيا معتبر من وجهين أولهما: ما ينتظم به امور جملتها، والثاني ما يصلح حال كل واحد من اهلها، فهما شئان لا صلاح لاحدهما الا بصاحبه"¹⁴

ثانياً: الراغب الأصفهاني (502هـ)

هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل من الحكماء العلماء من أهل اصبهان وسكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالغزالي وله كتب منها محاضرات الأدباء ومفردات القرآن.¹⁵ لم يترجم له حتى أصحاب الطبقات من أهل مذهبه وغاية ما وصل من أخباره أنه كان صاحب

¹² أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص 237. ويدخل على هذه الأخلاق الكثير وهو ما يسميه الإمام الماوردي أدب النفس من الإحسان الحلم والإخلاص والعفو. انظر القيم الأخلاقية عند الإمام الماوردي، ص 18.

¹³ أبو الحسن الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، مرجع سابق، ص 9.

¹⁴ امل مهدي كاظم، القيم الأخلاقية في الفكر التربوي عند الإمام الماوردي والحسن البصري، (مجلة الفتح، العدد السادس والاربعون، 2011)، ص 27. نقلاً عن الالوسي، الأسس النفسية والتربوية عند الإمام الماوردي، ص 108.

¹⁵ موسوعة الأعلام، موقع وزارة الأوقاف المصرية، (الجزء الاول، 2010 ص 221)

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

لغة عربية وحديث وشعر وكتابة وأخلاق وحكمة¹⁶، وأنه عارف بعلوم الأوائل ومن أئمة السنة شافعي المذهب، وقيل أن الإمام الغزالي كان يستصحب كتابه الذريعة¹⁷، ويعتبر كتابه الذريعة من الكتب الرائدة في معالجة المسألة الأخلاقية، وعند ذكر التاريخ يتبادر للذهن كتاب البداية والنهاية لابن كثير، وعند ذكر السلوك والزهد يتبادر إلى الذهن كتاب إحياء علوم الدين، وعند ذكر الأخلاق يتبادر إلى الذهن كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني¹⁸. كما أن القاضي البيضاوي اعتمد على كتابه مفردات الراغب في التفسير¹⁹. وله كتاب اسمه الأخلاق ولكنه غير موجود أي لم يُطبع.²⁰

¹⁶ كان ملماً بعلوم الشريعة والفلسفة وكان صاحب أخلاق وحكمة، وهنا يظهر لنا أهمية الإمام الأصفهاني في حقل الأخلاق أي أنه جمع بين العلم والعمل وهنا تكمن المصادقية ويأتي الإصلاح لذلك وصفه مؤلف كتاب كنوز الأجداد أنه كان مقبولاً عند العامة والخاصة. انظر: إحياء للتنمية الأخلاقية، حماد القباج، مجالس الراغب الأصفهاني، المجلس رقم 1 (2019/10/07).

¹⁷ الألماني كارل بروكلمان قال عنه في كتابه تاريخ الأدب العربي "الذريعة كتاب في الأخلاق كان الإمام الغزالي دائماً يحملها معه".

¹⁸ نافع لعياشي، من أروع كتب الأخلاق والآداب "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، 2018

[/https://www.rqiim.com/nafaa](https://www.rqiim.com/nafaa)

¹⁹ محمد علي كرد، كنوز الأجداد (سوريا، المجمع العلمي العربي بدمشق، 1650) ص 268

²⁰ إحياء للتنمية الأخلاقية، حماد القباج، مجالس الراغب الأصفهاني، المجلس رقم 1 (2019/10/07).

[/http://ihyae.com/library](http://ihyae.com/library)

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

مفهوم الأخلاق عند الراغب الأصفهاني

يُعرف الإمام الأصفهاني الأخلاق بقوله: "الخُلُق والخُلُق في الأصل واحد ، لكن حُص الخُلُق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، ولكن حُص الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة" .²¹

فوجه الشبه بين الخُلُق والخُلُق قائم، لا سبيل إلى تبديل الخُلُق، لكن ثمة سبيل إلى تزيينه وتجميله، وكذلك لا سبيل إلى تبديل الخُلُق لكن ثمة سبيل إلى تحسينه وتعديله.²²

البنية الأخلاقية عن الإمام الراغب الأصفهاني

تدور الأخلاق عنده لتحقيق الاستخلاف أو الخلافة للإنسان في الأرض حيث يذكر في مقدمة كتاب الذريعة: " أن خلافة الله - عز وجل - لا تصح إلا بطهارة النفس، كما أن أشرف العبادات لا تصح إلا بطهارة الجسم وإنه باكتساب المكربة يستحق الإنسان أن يوصف بكونه خليفة الله المعني بقوله: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) "²³

²¹ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، (القاهرة: دار السلام، الجزء الأول، 1428 هـ - 2007)، ص 97.

²² يوسف القرضاوي، أخلاق الإسلام، (القاهرة: دار المشرق، ومركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، ط 1، 2017م)، ص 19.

²³ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مرجع سابق، 60.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

والإنسان أفضل من الحيوانات بالعقل والعلم والحكمة والتدبير والرأي وأن كل ما أوجد في هذا العالم من أجل الإنسان فهو زبدة العالم.²⁴ ولا يستحق الإنسان الخلافة إلا بتحري مكارم الشريعة، وهي الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس في الحكم والإحسان والفضل.²⁵

ويمكن تناول بعض الجوانب التي تتعلق بالمسألة الأخلاقية عند الإمام الراغب على النحو الآتي:

أولاً: مقياس أو ضابط الأخلاق عنده: العقل والشرع، ولكن الشرع في مرتبة أسبق من العقل، فالشرع سائس والعقل تابع فهو يختلف عن الإمام الغزالي في محاولات التقريب الشرع من العقل.²⁶

ثانياً: خطوات اكتساب (حصول) الأخلاق عند الراغب:

1- طهارة النفس بالتعلم

²⁴ الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، (لبنان: دار مكتبة الحياة، بيروت، الجزء الأول، ص

29 – أنظر كذلك الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 25-26.

²⁵ مصطفى حلمي، الراغب الأصفهاني وأراه في كيفية حل المشكلة الأخلاقية، 2013، رابط المقال:

<https://www.alukah.net>

²⁶ مصطفى حلمي، الذريعة إلى مكارم الشريعة كما يوضحها الراغب الأصفهاني، (الرياض: مجلة الدارة، 1977)، ص 3 – وهذا الأمر واضح من خلال أسلوبه في كتابه الذريعة إلى مكارم الشريعة كثرة الاستدلالات من القرآن والسنة.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

2- استعمال العفة والصبر والعدالة

3- التخصص بالحكمة والحلم والإحسان.

بالتعلم يتوصل إلى الحكمة، واستعمال العفة يتوصل إلى الجود، وبالصبر يدرك الشجاعة، وباستعمال العدالة تصحح الأفعال. ومن حصل له ذلك فقد تدرع المكرمة المعنية بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: 13)، وصلاح لخلافة الله سبحانه وتعالى.²⁷

ثالثاً: قوى النفس: تطهير النفس يتم بتطهير ثلاث قوى:

1- قوة الفكر بتهدئتها تحصل الحكمة والعلم

2- قوة الشهوة بقمعها تحصل العفة والجود

3- قوة الحمية (الغضب) باستيلائها ينقاد العقل فتحصل الشجاعة والحلم.

ومن اجتماع ذلك يتولد العدل.²⁸

²⁷ الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص 34 .

²⁸ الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مرجع سابق، ص 39. ويستخدم العدل في خمسة مجالات: بين الإنسان وربه، بين قوى النفس فيما بينها، بين الشخص وأسلافه السابقين، بينه وبين معامليه، بث النصفة بين الناس، ص 250.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

رابعاً: إذن أصول الأخلاق عند الإمام الراغب الأصفهاني تتمثل في:²⁹



خامساً: السعادة (Happiness) غاية الأخلاق

يطلق الراغب الأصفهاني السعادة الحقيقية على الخيرات الأخروية، وذلك بقوله: " واعلم أن الفضيلة الكاملة والسعادة الحقيقية هي الخيرات الأخروية، وما عداها فتسميته بذلك إما لكونه معاوناً في بلوغ ذلك، أو نافعاً فيه، فكل ما أعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة"³⁰ ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا باكتساب الفضائل النفسية واستعمالها وهي: العقل وكمال العلم، والعفة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الإنصاف.³¹

²⁹ ويذكر في صفحة 73 أمهات الفضائل النفسية وإن كن أربعاً فلها بنات هن أمهات لفضائل آخر، مثال ذلك

العدالة إذا تقوت تولد الرحمة ومن الرحمة يولد الحلم والحلم يقتضي العفو.

³⁰ الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مرجع سابق، ص 105

³¹ الراغب الأصفهاني، المرجع نفسه، ص 106.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousry Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

ثالثاً: مفهوم واسس الأخلاق عند الإمام الغزالي: 505هـ

الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط³²، ولد بطوس من بلدة خراسان سنة خمسين وأربعمائة، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه.³³ توفي بطوس 505هـ.

مفهوم الأخلاق عند الإمام الغزالي

الأخلاق

عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً. ثم يشرح شروط تلك الهيئة، وإنما قلنا هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على النذور لحاجة عارضة لا يُقال خُلِقَهُ السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت ورسوخ وإنما اشترطنا أن

³² شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، (القاهرة، دار الحديث،

2006م، الجزء 14)، ص 267

³³ محمد علي كرد، مرجع سابق، ص 272.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب
بجهد ورؤية لا يقال حُلُقُهُ السخاء والحلم.³⁴

يتضح للباحث من تعريف الإمام الغزالي للأخلاق مقياس او ضابط الأخلاق والمتمثل في
الشرع والعقل، وهذا يبين لنا كيف أن الإمام الغزالي أخرج الأخلاق من الفلسفة اليونانية التي
تعتمد العقل فقط.

البنية المفهومية للأخلاق عند الإمام الغزالي

³⁴ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة)، الجزء الثالث، باب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق، ص 53. وينبغي التنبيه إلى أن الصفات المستقرة في النفوس ليست كلها من قبيل الأخلاق، بل منها غرائز ودوافع لا صلة لها بالخلق، ولكن الذي يفصل الأخلاق ويميّزها عن جنس هذه الصفات كون آثارها في السلوك قابلة للمدح أو للذم، أيها كمال محمد، تعريف الأخلاق في اللغة والشرع والاصطلاح، <https://www.alukah.net>، نقلاً عن الأخلاق الإسلامية وأسسها؛ عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، سوريا.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousry Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

أولاً: هناك أربعة أمور في مفهوم الأخلاق عند الإمام الغزالي:

- 1- فعل الجميل والقيح
- 2- القدرة عليهما
- 3- المعرفة بهما
- 4- هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح.

تفصيل هذه النقاط

وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمناع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء، وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء، وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقيح جميعاً على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل.

فالخلق إذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة.³⁵

ثانياً: قوى النفس

³⁵ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ص 52. وهذا يعني أن الخلق صفة ثابتة مستقرة في النفس، وهذه الصفة ذات آثار في السلوك، ويعني أن صفات النفس الطارئة لا تكون خُلُقاً إلا مع الدوام والاستمرار. انظر، يوسف القرضاوي، أخلاق الإسلام، ص 21.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousry Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

النفس الإنسانية حسبما يرى الإمام الغزالي تعدد من خلال قواها، فمن خلال العلاقة الموجودة بين النفس والبدن تظهر هذه القوى القوة الناطقة والغضببية والشهوية ولكل منها وظيفة فعن طريق تلك الوظائف يكتسب الفرد عدة أفعال، ويتصف بصفات أخلاقية تميزه.³⁶

وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والحد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو:

أ- قوة العلم ب- قوة الغضب ج- قوة الشهوة د- قوة العدل بين هذه القوى الثلاث.³⁷

إذن الخلق الحسن يقصد به: اصلاح القوى الثلاث: قوة التفكير، وقوة الشهوة، وقوة الغضب اما قوة العدل بين هذه القوى الثلاث.³⁸

³⁶ فايد إيمان، فلسفة الأخلاق بين الإمام ابن مسكويه والإمام الغزالي، (الجزائر: رسالة ماجستير، جامعة محمد

بوضياف، 2018م)، ص 40. نقلاً عن الإمام الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 33.

³⁷ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ص 52.

³⁸ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ميزان العمل، مرجع سابق، ص 234.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

والإمام الغزالي يهتم كثيراً بريضة النفس على ما يرغب المرء فيه من مكارم الأخلاق، ويرى كسب الخلق بسبب التخلق من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح، ويقول في ذلك " كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتي لا تتحرك على وفقها لا محالة" ³⁹ وغاية الأخلاق عنده هي السعادة الاخروية ، وهذه السعادة تنال بتزكية النفس وتكميلها، وتكميلها باكتساب الفضائل. ⁴⁰

ثالثاً: الفضيلة (Virtue) عند الإمام الغزالي

لا يفرق الإمام الغزالي بين كلمة فضيلة، وكلمة خلق، فهما عنده عبارة عن هيئة النفس، وصورتها الباطنة، وأساس الفضيلة يرجع بعض إلى ما أخذ من أرسطو فهو يأخذ عنه نظرية التوسط ويسميها الاعتدال.. ولا يجمد الإمام الغزالي على هذه النظرية حتي يعترض عليه بأن من الفضائل ما لا وسط له، بل يقرر أن العدل ليس له طرفان: زيادة ونقص، بل له ضد واحد وهو الجور. ⁴¹

³⁹ زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص 133

⁴⁰ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ميزان العمل، مرجع سابق، ص 254.

⁴¹ زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، مرجع سابق، ص 145.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

رابعاً: أصول الأخلاق عند الإمام الغزالي

الفضائل، وإن كانت كثيرة فتجمعها أربعة تشمل شعبها وأنواعها، وهي الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة. فالحكمة فضيلة القوة العقلية، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية، والعفة فضيلة القوة الشهوانية، والعدالة عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب فيها تتم جميع الأمور، ولذلك قيل: بالعدل قامت السموات والأرض.⁴² وفي إحياء علوم الدين يذكر "بأن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها".⁴³

⁴² أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ميزان العمل، تحقيق: سليمان دنيا، (مصر، دار المعارف، ط1، 1964)، ص 264.

⁴³ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ص 54. كتاب إحياء علوم الدين يعتبر أهم ما كتب الإمام

الغزالي في الأخلاق، وخلاصته هو محاولة إعادة بناء الإنسان المسلم ليكون على الصراط المستقيم، وبالتعبير الحديث

أن أزمة العالم الإسلامي في عصره ليست أزمة فكر ولا سياسية إنما هي أزمة إنسان. انظر: أسمار وأفكار، أبو حامد

الغزالي وكتابه إحياء علوم الدين (المجلس الثاني والثلاثون: 2016/12/28م)

<https://www.youtube.com/user/asmaraafkar>

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

المخطط يوضح أصول الأخلاق عند الإمام الغزالي



المقارنة

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousry Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

الإمام الغزالي	الإمام الراغب الأصفهاني	الإمام الماوردي
تربوي وصفي	تربوي فقهي	تربوي عملي
تزكية النفس	استخلاف الإنسان	إستقامة النفس
هيئة راسخة	قوة داخلية	غرائز كامنة

النتائج

- 1- أتفق العلماء الثلاثة في تعريفهم للأخلاق على أنها شيء في داخل الإنسان يدفعه إلى ممارسة ذلك السلوك، فقد عبر عنها الإمام الماوردي بأنها غرائز كامنة والإمام الراغب الأصفهاني قوة والأمام الغزالي بأنها هيئة راسخة.
من مجموع مفهوم الأخلاق عند العلماء الثلاث يمكن بناء مفهوم للأخلاق على النحو الآتي:
قوة داخلية تدفع الإنسان إلى القيام بالخير وتؤدي إلى إصلاح الفرد ويظهر أثرها في السلوك.
- 2- الهدف من الأخلاق عند العلماء الثلاثة تزكية النفس لبناء الفرد وفق الشريعة.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

- 3- أصول الأخلاق هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدل.
- 4- غاية الأخلاق هي تحقيق السعادة الآخروييه.
- 5- ابرز ما يميز البنية الأخلاقية عند الإمام الماوردي ربطه الأخلاق بالسياسية وهذا يمثل جانب الأخلاق العملية التطبيقية Applied Ethics في العصر الحديث. وأما الإمام الغزالي فقد ركز على الجانب النظري أو الأخلاق المعيارية normative Ethics التي تبحث في تقويم سلوك الانسان.
- 6- اما الإمام الراغب الأصفهاني فقد ركز على بناء الإنسان لتحقيق الاستخلاف.
- 7- من خلال الطرح ومن مقياس أو ضابط الأخلاق يتضح للدراسة أصالة البنية الأخلاقية الإسلامية.

الخاتمة

تناولت الورقة بالتحليل مفهوم الأخلاق في التراث الإسلامي المبكر، بالتركيز على البنية الأخلاقية عند ثلاثة من علماء المسلمين الذين كان لهم دور بارز في تناول المسألة الأخلاقية، الإمام الأصفهاني والغزالي والماوردي.

وقد أتفق العلماء الثلاثة في تعريفهم للأخلاق على أنها شيء في داخل الإنسان يدفعه إلى ممارسة ذلك السلوك وإن اختلفوا في التعبير عنها، وأن الهدف منها تزكية النفس. وقد بنى كل



مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIENNIAL REFEREED JOURNAL
KULLIYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA



e-ISSN: 2600-8394

VOL. 6. No. 2

Dec (1444-2022)

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

عالم من هؤلاء العلماء الافاضل البنية الاخلاقية على مجموعة من الاصول بمثابة أسس أساسية
ينطلق منها الباحثون والدارسون للتراث الإسلامي بصورة عامة ولحقل الأخلاق بصورة خاصة.

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousry Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

المصادر والمراجع

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، القاهرة: دار السلام، 1428 هـ - 2007، الجزء الأول.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، (لبنان: دار مكتبة الحياة، بيروت، الجزء الأول. إيمان، فايد، فلسفة الأخلاق بين الإمام ابن مسكويه والإمام الغزالي، (الجزائر: رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، 2018م).

البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (دار الصديق للنشر والتوزيع ط4، 1997م).

البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، تاريخ بغداد، لبنان: دار الكتب العلمية بيروت، الجزء 12.

بني عيسى، عبدالرؤوف أحمد، النمو المعرفي عند الإمام الماوردي في كتابه "أدب الدنيا والدين" مجلة علوم الشريعة والقانون، رقم 41، 2014م.

حلمي، مصطفى، الذريعة إلى مكارم الشريعة كما يوضحها الراغب الأصفهاني، (الرياض: مجلة الدارة، 1977).

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

حلمي، مصطفى، الراغب الأصفهاني وأراه في كيفية حل المشكلة الأخلاقية، 2013،

رابط المقال: <https://www.alukah.net>

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، (القاهرة، دار الحديث ، 2006م، الجزء 14).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ميزان العمل، تحقيق: سليمان دنيا، مصر، دار المعارف، ط1، 1964.

القباج، حماد، إحياء للتنمية الأخلاقية، مجالس الراغب الأصفهاني، المجلس رقم 1
(2019/10/07). <http://ihyae.com/library>

القرضاوي، يوسف، أخلاق الإسلام ، (القاهرة: دار المشرق ، ومركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق ، ط 1 ، 2017م).

كاظم، امل مهدي ، القيم الأخلاقية في الفكر التربوي عند الإمام الماوردي والحسن البصري، (مجلة الفتح، العدد السادس والاربعون ، 2011).

كرد، محمد علي ، كنوز الأجداد(سوريا، الجمع العلمي العربي بدمشق، 1650)

لعياشي، نافع ، من أروع كتب الأخلاق والآداب " الذريعة إلى مكارم الشريعة"، 2018
<https://www.rqiim.com/nafaa>

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، أدب الدنيا والدين، (دار مكتبة الحياة: 1986م، الجزء الأول).



مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIENNIAL REFEREED JOURNAL
KULLIYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA



e-ISSN: 2600-8394

VOL. 6. No. 2

Dec (1444-2022)

البنية الأخلاقية في التراث الإسلامي المبكر
دراسة مقارنة بين الإمام والماوردي والأصفهاني والغزالي

Yousrya Ibrahim Taha Ali - Abdelaziz Berghout

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، تسهيل
النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، لبنان:
دار النهضة العربية، الجزء الأول.

مبارك، زكي، الأخلاق عند الغزالي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

موسوعة الأعلام، موقع وزارة الأوقاف المصرية، (الجزء الاول، 2010)